كان يسير ليلةً، وحيدًا، هائمًا على وجهه.
يسير في طريقٍ طويل، مظلم، إلا من مِصْباحٍ في آخره، يُنيرُ ويُطْفِئ.
للتو انتهى من يوم كان مليئا بـء... بِكُلِّ شيء!
حرفيا بِكُلِّ شيء!!
لقد فَعَلَ كُلَّ شيء..
فعل كل شيء وبداخله نداءٌ ما، لم يُفكِّرْ حتى في أن يَسمعَه.
لم يَعِ بوجود هذا النداء إلا من وقتٍ قريب.
سائِرٌ الآن في هذا الطريقِ المظلم، وفي داخله شوقٌ لشيء ما، لا يدري كُنهَه.
لعلَّه في داخله له كثير زمن.
لعل كُلَّ ما فَعَلَه - اليوم وقبل اليوم - كان ليصل لذاك الشيءِ الذي في داخله شوق كبير له.
لهى وعربد.. طغى وأفسد.. ولم يكُ يَدري ماذا بعد ذلك!
ماذا بعدَ فِعله ما فعل، وبعد إرضائه جميعَ غرائزه، ونَيْلِه كُلَّ ما اشتهت إليه نفسُه مما

حرمه الله؟!
لَمْ يتساءلْ بهذه الأسئلةِ حينها، ولكنها تُلِحُّ عليه الآن إلحاحا شديدا.
نادِمٌ على كل ما فعل، وقد ازداد شوقا لما هو إليه شائق.
سائرٌ في ليلٍ مظلم..
وحيدًا إلا من هواجسه ونفسه المُشْتَدَّةِ في لَوْمِها..
على طريقٍ في آخِرِه مِصباحٌ، يُنيرُ ويُطفئ..
في صمت رهيب لم يعهده قبلُ..
إلا من صوتِ قارئٍ خاشعِ التلاوة، نديِّ الصوت، ظَهَرَ فجأة!، يُرَتِّلُ:
﴿وَاستَمِع يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾..
* * *
ارْتَعَدَتْ فَرائصُه..
سَرَتْ قَشْعَريرَةٌ في جسده كله..
من منبت شعره، لِأُخْمُصِ قَدَمَيْه..
شعورٌ غريب لم يَشْعُرْه مِن قبل!!
مزيج من الفزع والفرح!!

فَزِعٌ لإحساسه بأن اللهَ يسمعُ حديثَ نفسِه،
ولأن الآيةَ جاءت في حينِ كان مُستغرِقًا في
حديثِ نفسِه ذاك أشدَّ الاستغراق.
وفَرِحٌ لنور الأمل ذاك الذي أتى من العدم!!
أملٌ أضاء في حينٍ كان يجلد فيها نفسَه أَشَدَّ
الجَلْد.
الله يستمع لحديث نفسه، ويُرسِلُ له رسالة!!
حدَّثَ نفسَه: «﴿وَاستَمِع يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن
مَكانٍ قَريبٍ﴾؟
من الذي يستمع؟
أنا؟!!
هل يُخاطبني الله بتلك الآية؟
يعلم تَخَبُّطي وحِيرَتي ونَدَمي على ما كان
مني؟؟
سبحانه!
لكني عصيته!!
عصيت؟! هل تكفي "عصيت" لتُعَبِّرَ عمَّا كان
مني؟!!
لقد أجرمت في حقه..

تَعَدَّيتُ كُلَّ حدودِه وما من باب كبيرةٍ إلا ولجتُه!!
لقد وصلتُ لأعلى مراحل الفُجرِ حتى إني أيقنت أن الجنة لم تُخلق لأمثالي!!
عربدتُ وتركتُ ورائيَ الآخرةَ، حتى إنَّ ذكراها قد مُحِيَتْ من رأسي تماما..
ثم يُسَخِّرُ اللهُ هذا القارئ لي لينقل لي رسالةَ ربي: ﴿وَاسْتَمِعْ﴾؟
ولِأيِّ شيءٍ يريد مني ربي أن أستمع؟
﴿يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾؟
من هو هذا المنادِ؟
هل هو هذا القارئ؟
مِن أيِّ مكان قد صدرَ صوتُه؟
لا أدري.
لكنه قريب!
قريب جدا!!
أم إنه ذاك المنادِ في داخلي، الذي وعيتُ بوجوده من وقتٍ قريب؟
لكن الله قال: ﴿مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾، وليس من

"زمان"!

ثم إني وَعَيْتُ بوجوده من قريب، ولعله يُنادي

من زمان بعيد!»

إذ فجأة انتبه من شُرُودِه..

وجد أنَّ القارئَ قد فَرَغَ من القراءة..

وأنه قد صار أسفل المصباح..

لا زال يُنيرُ ويُطفئ!!

(يُتْبَعُ إن شاء الله..)

..(٢)..

﴿وَاستَمِع يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾

عاد القارِئُ ليتلو!!

كان الصوتُ قريبًا أيضًا، وكأنه يَتْبَعُه!!

﴿يَومَ يَسمَعونَ الصَّيحَةَ بِالحَقِّ ذلِكَ يَومُ الخُروجِ ۝إِنّا نَحنُ نُحيي وَنُميتُ وَإِلَينَا المَصيرُ ۝يَومَ تَشَقَّقُ الأَرضُ عَنهُم سِراعًا ذلِكَ حَشرٌ عَلَينا يَسيرٌ ۝نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ وَما أَنتَ عَلَيهِم بِجَبّارٍ فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾

﴿فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾؟

وهل صيَّرهُ للحال تلك التي هو فيها الآن إلا القرآن؟!!

﴿مَن يَخافُ وَعيدِ﴾؟

أيُّ وعيد؟

عاد القارئُ ليتلو!!: ﴿يَومَ يَسمَعونَ الصَّيحَةَ بِالحَقِّ ذلِكَ يَومُ الخُروجِ ۝إِنّا نَحنُ نُحيي وَنُميتُ وَإِلَينَا المَصيرُ ۝يَومَ تَشَقَّقُ الأَرضُ عَنهُم سِراعًا ذلِكَ حَشرٌ عَلَينا يَسيرٌ ۝﴾

انطفأ المِصباحُ فجأة!!

عَمَّ الظلامُ المكان..

يُكَرِّرُ القارئ: ﴿يَومَ يَسمَعونَ الصَّيحَةَ بِالحَقِّ ذلِكَ يَومُ الخُروجِ﴾

﴿ذلِكَ يَومُ الخُروجِ﴾ يُكَرِّرُ ويبكي..

يوم الخروج؟

أيُّ خروج؟!

يُكْمِلُ: ﴿إِنّا نَحنُ نُحيي وَنُميتُ وَإِلَينَا المَصيرُ ۝ يَومَ تَشَقَّقُ الأَرضُ عَنهُم سِراعًا ذلِكَ حَشرٌ عَلَينا يَسيرٌ ۝﴾

اشتد فزعه!!

ازدادتْ فرائصه ارتعادا!!!

هل يُراقِبُه أحدهم؟!

هل يقرأُ أفكارَه، ذاك الذي يُرَتِّلُ؟!!

ثم من أين يصدرُ صوتُه؟!

مهما سار فالصوتُ قريب!!

ما الذي يحصل بالضبط؟!

- «مَنْ وراءَ كُلِّ هذا» صرخ..

لم يَعُدْ لأُذُنَيه إلا صدى ما صرخ!!

(يُتْبَعُ إن شاء الله...)

..(٣)..

﴿وَاستَمِع يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾

يُكَرِّرُ القارئُ مِنْ جديد!!

ما بالُ هذا القارئِ ماذا يريد منه؟!

- «مَنْ وراءَ كُلِّ هذا؟؟» عادَ يَصيحُ من جديد..

يُكررُ القارئ: ﴿وَاستَمِع يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾..

لِوَهْلةٍ، عَادَ يُدْرِكُ ما تقولُه الآية..

هل يتساءلُ مَنْ وراءَ كُلِّ هذا؟!

لا يهم.

بجانب ما تقوله الآية.. حقًّا فِيمَ تُهِمَّ مَعْرِفَةُ مَنْ وراءَ كُلِّ هذا؟!

ليكن من يكن..

تناديه الآية أن ﴿وَاستَمِع﴾؟

فليستمع..

* * *

﴿وَاستَمِع يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾..

يعودُ القارئُ فيُكَرِّرُ..

﴿يَومَ يَسمَعونَ الصَّيحَةَ بِالحَقِّ ذلِكَ يَومُ الخُروجِ ۝ إِنّا نَحنُ نُحيي وَنُميتُ وَإِلَينَا

المَصيرُ ۝يَومَ تَشَقَّقُ الأَرضُ عَنهُم سِراعًا ذلِكَ حَشرٌ عَلَينا يَسيرٌ ۝نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ وَما أَنتَ عَلَيهِم بِجَبّارٍ فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾.

لا زال المِصباح مُنْطَفِئًا، ويُرَتِّلُ القارئُ تلكم الآياتِ في جَوٍّ قد عَمَّه الظَّلام..

نظر إلى السماء فإذا القمرُ بدرٌ..

تذكَّر حديثا عن رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم - كان قد سَمِعَه يومًا ما..

يَذْكُرُ أن الحديث كان فيما معناه إن المؤمنين سَيَرَوْنَ اللَّه يوم القيامة كما يرى هو هذا البدرَ الآن..

لا يَحْجبُهُ عنه حاجب!

﴿يَومَ يَسمَعونَ الصَّيحَةَ بِالحَقِّ ذلِكَ يَومُ الخُروجِ﴾.

- «يَقِفُ في مكانٍ ما..

قرييييب!!

يُنادى..

يوم نسمع الصيحةَ بالحق..
صيحةً لنقومَ من قُبورنا..
تُذَكِّرُني تلك الظُّلْمَةِ حَوْلِي به.. يا ربِّ سَلِّم.
نَخْرجُ لحياةٍ لن يرى فيها ربَّنا، كذلك البدر، إلا من شاء لهم اللَّه تلكم الرؤية»..
﴿إِنّا نَحنُ نُحيي وَنُميتُ وَإِلَينَا المَصيرُ﴾
- «يا الله!
يا لِجلالِك ويا لِعَظَمَتِك!!».
مَسَّتْ الآيةُ **شِغافَ** قلبه..
لم يسمعْها كذلك من قبل..
يسمعُها وكأن لم يسمعْها قبل!
يأتي نسيمٌ بارد يَمَسُّ وجهَهُ..
مَسٌّ مصحوبٌ بنعيم.
﴿يَومَ تَشَقَّقُ الأَرضُ عَنهُم سِراعًا ذلِكَ حَشرٌ عَلَينا يَسيرٌ﴾
أدمعت عيناه..
قال في نفسه: «**إي بالله** يسير!!
أنَّى لشيءٍ يَصْعُب عليكم فِعْلُه سيدي..»
﴿نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ....﴾

رَتَّلها القارئُ مُمِدًّا في آخرِها.

ارتعش صاحِبُنا!!

يعلم ذاك الذي قاله في نفسه الآن!!

يا لِعظيمِ ما يَشعرُ به الآن!!

يا لِنعيمِ شُعور **المَعِيَّة**..

نعيمِ الشُّعورِ بأنه معه الآن..

الآاان!!

وكان ولن يزال.

أكملَ القارئُ: ﴿نَحنُ أَعلَمُ بِما يَقولونَ وَما أَنتَ عَلَيهِم بِجَبّارٍ...﴾

توقف القارئُ.

هَمَسَ صاحِبُنا: «صلى الله عليه وسلم».

لحظةٌ من الصمت عَمَّت المكان..

وقتٌ بسيطٌ ظلَّ فيه القارئُ صامتا..

سُكونٌ طاغٍ قد ملأ أركان المكان..

ثم إذ بالقارئِ يَشُقُّ هذا السكونَ، خاتِمًا السورة:

﴿فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾..

أعاد: ﴿فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾..

مَرَّةٌ أخيرة، مُطيلا فى آخر الآية، بنبرة تُورثُ

الطُّمأنينةَ في القلب: ﴿فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعيدِ﴾..

ثم سَكَت.

(يُتبع إن شاء الله...)

..(٤)..

فجأة.. عاد المِصباحُ لِيُضيء!

عاد ليُضيء إضاءةً مُستمرة، مُتَوَقِفًا عن الانطفاء.

عجيبٌ أمرُ هذا المصباح!

وَلَّاه صاحِبُنا ظهرَه، مُتَّجِهًا نحو بيتِه.

فَكَّر مُسترجِعًا ما حصل له الآن: لقد كان يسير في طريق طويل..

مُظلِم..

في آخره مِصباحٌ يُنير ويطفئ.

بِشَكلٍ ما، كانت تلك هي قِصَّته، لها الكثيير، حتى لحظتِه تلك!!

طريقٌ طويلٌ مُظلِم، كان يسير فيه، مُتَخَبِّطًا، ظانًّا فلاحَه.

يَقِفُ قلبُه في نهاية هذا الطريق..

يُنيرُ ويطفئ!

ينير ويطفئ؛ دالًّا على أنه يحتضر، وأنه قريبا سَيُطفئ.

لولا أن سَمِعَ مناديًا، لا يدري مِنْ أين خرج صوتُه بالضبط!!، يُنادى وكأنه يناديه هو

تحديدا: ﴿وَاستَمِع يَومَ يُنادِ المُنادِ مِن مَكانٍ قَريبٍ﴾.

منادٍ ما، في مكان ما من نفسه، قرييييييب!،

كان يُنادِيه، أن أَغِثْ قلبَكَ ذاك الذي يُنيرُ ويُطفئ.

ومنادٍ ما آخر، من مكان قريب أيضا!!، يناديه، أن استمع.

أن استمع لنداء نفسك؟

أن أَغِثْ قلبَك؟

لعل.

ومنادٍ ما ثالثٌ، لمَّا يَحِنْ وقتُه بعد، سَيُنادي، من مكان قريبٍ كذلك، مُوقِظًا له؛ لأن مِيعادَ لقاءِ ربِّه قد حان.

ارتجَف داخِلُه حين وَصَلَ لهذا.

فَزِعَ فَزَعًا شديدًا.

هُيِّئ له أن البياض قد كسا جميعَ رأسِه!!

ماذا لو كان أولُّ نِداءٍ سَمِعَه هو ذاك النداءَ الأخير؟!!

ماذا وعَمَلُهُ هو عَمَلُه؟!

كيف كان سَيَلْقَى اللَّهَ بِكُلِّ ذاك الذي اقترف؟!!
حَمِدَ اللَّهَ في نَفْسِه.
عاش الخَوْفَ مِنْه أَوَّل ما استمع لذاك المنادِ..
ثم عاش الطمع في رحمته في الأخير.
يعلم أن حالَ المؤمنِ يجب أن يكون بين هاتين المَنْزِلَتَيْن.. الخوف والرجاء..
إلا أنه قد ذاق الآن نعيمًا ما حَيَاه قبلُ!!
نعيمَ شُعورِ المَعِيَّة..
الشعورِ بِقُرْبِ ذلكم العظيمِ الرحيمِ منك..
وذاك النعيمُ كافٍ لِجَعْلِه يَسْتَحي منه سُبحانه أن يَعصيَه..
وكافيا لجعله حين يَقَعُ في الخطأِ يعود إليه فارًّا إليه؛ خائِفًا من سخطه وغضبه.
لقد بدأ يَعْرِفُه..
يقترب منه..
وكانت البدايةُ مِن مُنادٍ ناداه من مكان قريب..
أن استمع!
* * *
هُناك عِدَّةُ طُرُقٍ تؤدي إلى البيت..

لماذا اختار هذا الطريقَ بالذات، مع إظلامه، وكَوْنِ المِصباحِ الوحيدِ الذي فيه ينيرُ ويُطْفِئ، وهو في آخره حتَّى وليس في أَوَّلِه؟!!!

فَكَّر: كُلُّ الطُّرُق تؤدي إلى بيتِه.. إلا أن هذا الطريق، وفقط هذا الطريق!، قد أَدَّى بهِ إلى نفسِه!!

حِينَ اقترب من المِصباح في نهاية الطريق، سَمِعَ المناديَ يُنادي، من مكان قريب..

كان يسير إلى قلبه، في نهاية الطريق، وإلى نفسه، وهو لا يدري!!

أتى مُنادٍ من مكان قريب، لِيَلْفِتَ نظرَه لِمُنادٍ آخر يقِف أيضا في مكانٍ قريب.

حين اقترب من قلبه، الذي يُنيرُ ويُطفئ، في نهاية الطريق، التي لا مُبَرِّر نِهائيًّا ليسير مِنهُ إلى بَيْتِه!- ناداه مُنادٍ من مكان قريب، أن استمعْ..

* * *

ما عاشه في هذا الطريق الآن: هو نورٌ قد مَلَأَ أركانَ نَفْسِه.

يَكْرَهُ أن يُفارِقَ ذاكم النورَ مِن جديد.
يَوَدُّ ألَّو يَظَلُّ مُصاحِبَه.
ما حَيي..
يَخَافُ وَعِيدًا قد أَمَرَ اللَّهُ نبيَّه أن يُذَكِّرَ بالقرآن الخائفين منه.
يخشى أن يَضِلَّ وأن يُقَاسيَ آلامَ ذلكم الوعيد.
يُرِيدُ أن يَظَلَّ على ذاكم النورِ حتى يَلقى رَبَّه..
مُنَعَّما في الجِنان.
مهلا..
بأي شيء سيُذَكِّرُ النبيُّ -صلى الله عليه وسلم- الخائفين؟!
القرآن؟؟
هذا هو!!
ذلكم هو النورُ الذي به النجاةُ من ذلكم الوعيد..
وذلكم هو الذي أَخرجه الله به من الظلمات التي كان فيها، لذلكم النورِ الذي يحياه الآن، وبه سيظل -بإذن الله- قلبُه مضيئا، مُحْتَوِيًا ذلكم النورَ، حتَّى يُخَطِّي عتباتِ الجِنان.
انْتَشَى لذلك الخاطر!!

التَفَتَ وراءَه، فَإذْ بالمِصباحِ لا يزالُ مضيئًا!!
قلبُه سَيَظَلُّ مضيئًا، ما اتَّبع هذا الكتاب،
وتَمَسَّكَ به!!
أنارت جميعُ مصابيح الطريق..
أنارَ طريقُه، وأنارتْ حياتُه كلُّها!!
أَتاهُ نسيمٌ لامَسَ وجهَه أَنْعَشَ رُوحَه..
ارتفع صوتُ مِذياعٍ ما، من مكانٍ قريبٍ أيضا!!!:
«إخوتنا إخوة الإيمان نبقى الآن في رحاب
تلاوة مباركة يتلوها علينا القارئ الشيخ محمد
صديق المنشاوي لما تيسر من سورة إبراهيم..
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
.{الر كِتابٌ أَنزَلناهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النّاسَ مِنَ
الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ بِإِذنِ رَبِّهِم إِلى صِراطِ العَزيزِ
الحَميدِ}:...
أَجْهَشَ بِالبُكاء.
(تمت بحمد الله)